

الوحدة الأولى

مقدمة في الفقه

يتوقع منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن:

١. تعرف الفقه لغة واصطلاحاً.
٢. تفرق بين الفقه وغيره من العلوم.
٣. تذكر نبذة مختصرة عن نشأة الفقه في حدود عشرة أسطر.
٤. تذكر مصدر الفقه واستمداده.
٥. تفسر أسباب ظهور المدارس الفقهية.
٦. تعلق كثرة اعتماد أهل المدينة على الآثار بعكس أهل العراق.
٧. تتحدث بطلاقة عن نشأة المذاهب الأربعة في حدود خمس دقائق.
٨. تفرق بين الفقه والشريعة.
٩. تدرك أسباب الخلاف بين العلماء.
١٠. تذكر أربعة من أسباب الخلاف بين العلماء بالتفصيل.
١١. تفرق بين الاختلاف السائغ وغير السائغ.
١٢. تكون اتجاهها إيجابياً تجاه الاجتهادات الأخرى؛ إذا كانت مستندة على دليل شرعي.
١٣. تحذر من الفتيا بغير علم.
١٤. تكون اتجاهها إيجابياً تجاه علماء الأمة قديماً وحديثاً بتقديرهم واحترامهم.



تعريف الفقه ونشأته ومدارسه

تعريف الفقه

قال الله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (١)،

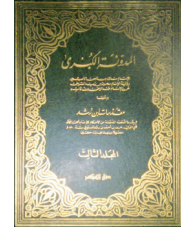
ويقول الناس: فلان لا يفقه شيئاً.

يمكنك من خلال ما تقدم (٢) التعرف على معنى الفقه في اللغة العربية، فما هو؟



أما المراد بالفقه في اصطلاح الفقهاء فيمكنك معرفته بترتيب الكلمات الآتية:

من الأحكام التفصيلية معرفة الشرعية أدلتها العملية



معنى التعريف ومحترزاته

تعرف على معنى التعريف ومحترزاته، وأكمل الجدول حسب فهمك:

العبارة من التعريف	معناها	ما يخرج بسببها
الأحكام الشرعية	الأحكام المستفادة من الشرع لا من العقل والتجربة ونحوهما	الأحكام غير الشرعية كالأحكام المستفادة من العقل أو التجربة مثل علم اللغة، والطب والهندسة و..... و.....

(١) سورة النساء الآية ٧٨.

(٢) ويمكن الرجوع إلى معاجم اللغة ومنها: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ولسان العرب لابن منظور.



<p>الأحكام الاعتقادية مثل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته و و</p>	<p>المتعلقة بأفعال الجوارح، مثل: الصلاة، والحج، و و و</p>	<p>العملية</p>
<p>يخرج به أمران: الأول: العلم المأخوذ عن غير الأدلة كعلم المقلد فهو ليس بفقيه. والثاني: الأدلة الإجمالية هي: القرآن والسنة والإجماع والقياس، وحجيتها وطرق دلائلها على الأحكام الشرعية لا تدرس في علم الفقه إنما تدرس في علم أصول الفقه المتعلق بالأدلة الإجمالية.</p>	<p>أدلة كل مسألة بعينها، مثل: آية الوضوء تدل على فروض الوضوء، ومثل:</p>	<p>أدلتها التفصيلية</p>

نشأة علم الفقه

كان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون الفقه من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، إما من القرآن أو مما يذكره لهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث، وكانوا إذا لم يعرفوا حكم مسألة معينة سألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بحكمها.

وأما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فكان الصحابة رضي الله عنهم إذا وردت عليهم مسألة ينظرون في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فإن وجدوا حكم المسألة فيهما أو في أحدهما حكموا به، ولم يلتفتوا إلى غيره، وكان يسأل بعضهم بعضاً عن السنة في ذلك، فإن لم يجدوا عندهم نصاً من السنة تشاوروا في حكم المسألة، واجتهدوا فيها بحسب ما لديهم من الأصول الشرعية، وقد يقيسونها على نص عندهم، وقد يجمعون على حكم المسألة كإجماعهم على قتال مانعي الزكاة ^(١)، وقد يختلفون في حكم المسألة كاختلافهم في ميراث الجد مع الإخوة ^(٢).

(١) بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، امتنع قومٌ عن إيتاء الزكاة، فأمر أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم حتى يؤتوها، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على صحة فعله.

(٢) هذه المسألة من مسائل الفرائض؛ وهي: لو مات شخص وترك جداً وإخوة، فهل الإخوة مع وجود الجد يرثون أو لا يرثون؟

بين الشريعة والفقہ



الشريعة هي دين الله تعالى الذي يشمل العقائد، والأحكام، والأخلاق، والآداب المستمدة من الكتاب والسنة، وأما الفقہ فهو الأحكام المستفادة من اجتهاد الفقهاء في التعرف على الأحكام العملية من الأدلة الشرعية.

مر التشريع الإسلامي والفقہ في خمسة أدوار هي:

١- الدور الأول: وهو التشريع في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم.

٢- الدور الثاني: وهو دور تأسيس الفقہ، ويبدأ من سنة ٤١ هـ، حتى سنة ١٣٢ هـ.

٣- الدور الثالث: وهو دور نهضة الفقہ وتدوينه، وجعله علمًا مثل سائر العلوم، وتأسيس المذاهب، وتدوين الحديث، وفيه ظهر الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة المدونة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رضي الله عنهم.

٤- الدور الرابع: وهو دور التقليد، والتقليل من الاجتهاد، وهذا بعد استقرار المذاهب الفقهية، وفيه عكف الناس على المذاهب الأربعة المعروفة عند أهل السنة دراسة وفهمًا.

٥- الدور الخامس: وهو دور الرجوع إلى فتح باب الاجتهاد لأهله المؤهلين، وإثبات أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

نشاط



■ استخراج مما مضى المصادر التي كان يعتمد عليها الصحابة رضي الله عنهم في التعرف على الأحكام الشرعية،

وهي مصادر الفقہ لمن بعدهم.

...../١

...../٢

...../٣

...../٤

مدارس الفقه وأسباب ظهورها

بعد وفاة النبي ﷺ اجتهد الصحابة رضي الله عنهم في نشر العلم، وتلقيه الناس ودعوتهم، وانتشروا في أنحاء الأرض يبلغون دين الله تعالى، فانتشر العلم في الأمصار الإسلامية، فكان للعلم حواضر كثيرة ينهل منها المتعلمون؛ من أهمها:

١. المدينة النبوية: وفيها الخلفاء الأربعة، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وغيرهم رضي الله عنهم.
٢. مكة المكرمة: وفيها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
٣. الكوفة: وفيها عبد الله بن مسعود، وأبو موسى، وسلمان رضي الله عنهم، ثم انتقل إليها علي رضي الله عنه.
٤. البصرة: وفيها أنس، وجابر رضي الله عنهما.
٥. الشام: وفيها معاذ، وأبو الدرداء، ومعاوية رضي الله عنهم.
٦. مصر: وفيها عمرو بن العاص، وابنه عبد الله رضي الله عنهما.



وفي أواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، بدأت الآراء الفقهية تتجه نحو تكوين مدرستين كبيرتين؛ لكل منهما منهج تختص به عن الأخرى، وهاتان المدرستان هما:

المدرسة الثانية: مدرسة الرأي

وتسمى مدرسة الكوفة وهي بالعراق، وسبب هذه التسمية: أن أهل العراق كثر عندهم ذلك الوقت الأخذ بالرأي وذلك لكثرة المسائل الحادثة عندهم وقلة الأحاديث بالنسبة لما عند أهل الحجاز، فلذلك احتاجوا إلى استنباط الأحكام من النصوص القرآنية، والأحاديث التي كانت عندهم بالنظر والتأمل، حتى كثر ذلك عندهم فسموا أهل الرأي.

ومن أشهر علماء هذه المدرسة:

علقمة النخعي، ومسروق الهمداني، وشريح القاضي، وإبراهيم النخعي.

المدرسة الأولى: مدرسة الأثر

وتسمى مدرسة المدينة، وهي بالحجاز وسبب هذه التسمية: اعتمادها على الأحاديث والآثار غالباً؛ بسبب كثرتها عندهم، ولقلة المسائل الحادثة في المجتمع الحجازي ذلك الوقت، واجتنابهم المسائل الفقهية المفروضة غير الواقعة، وليس معنى ذلك أنهم لا ينظرون في الرأي؛ ولكن غلب عليهم النظر في الآثار.

ومن أشهر علماء هذه المدرسة:

فقهاء المدينة السبعة: سعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وخارجة بن زيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير.

نشاط



١ / بم تعلق كثرة الأحاديث عند أهل الحجاز في الزمن الأول، وقلتها عند أهل العراق؟

.....

.....

.....

٢/ بالرجوع إلى مصادر التعلم المختلفة؛ اكتب ترجمة موجزة عن أحد الأعلام المذكورين في إحدى المدرستين، على أن تتضمن الترجمة المعالم البارزة في حياته، وموقفاً من مواقفه التي فيها القدوة والعبرة.

ظهور المذاهب المتبوعة

قبل منتصف القرن الثاني الهجري وما بعده إلى منتصف القرن الثالث، برز في الفقه عدد من العلماء الذين استفادوا ممن قبلهم، فالتف حولهم الطلاب، ورجع الناس إليهم في الفتوى، وكان لهم تلاميذ جمعوا أقوالهم ودونوا مذاهبهم.

وكان من أشهرهم: الأئمة الأربعة الذين تنسب إليهم المذاهب المشهورة الباقية إلى يومنا هذا: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل -رحمهم الله-.

وكان ممن اشتهر في تلك الفترة: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، وداود الظاهري.

المذاهب الأربعة

أولاً: مذهب الحنفية

ورث علم أهل الكوفة إبراهيم النخعي، ثم حماد بن أبي سليمان، شيخ الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠)، ثم انتهى علم مدرسة أهل الرأي إلى أبي حنيفة، واجتمع عليه الطلاب واستفادوا منه، واهتم بتفريع المسائل، واشتهر عندهم الفقه الافتراضي، فكانت المسألة تطرح في مجلس أبي حنيفة، فيقال: رأيت إن كان كذا وكذا فما الحكم؟ فيجيب عنها أبو حنيفة ويناقشه الطلاب في ذلك ويحاورونه.

وكان من طلاب أبي حنيفة: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، تولى رئاسة القضاء في أيام الرشيد فنشر مذهب أبي حنيفة في الكوفة وغيرها.

ثانياً: مذهب المالكية

اشتهر في المدينة الفقهاء السبعة، ثم أتى بعدهم الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩)، فانتهى إليه علم أهل المدينة، وصار هو المرجع في الحديث وفي الفتوى بالمدينة، ورحل إليه طلاب العلم من كل مكان، ثم تفرق هؤلاء الطلاب - الذين أصبحوا فيما بعد علماء - ونشروا علم الإمام مالك خاصة في مصر والمغرب الإسلامي.

ثالثاً: مذهب الشافعية

في منتصف القرن الثاني ولد الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤)، وتتلذ على علماء أجلاء كان منهم الإمام مالك، كما أنه تتلمذ أيضاً على محمد بن الحسن تلميذ الإمام أبي حنيفة، وجمع بين فقه المدرستين ولكنه إلى مذهب أهل المدينة أقرب، ونشر علمه في العراق وتتلذ عليه جمع غفير، ثم انتقل إلى مصر وتغيرت بعض اجتهاداته في مصر عنها في العراق، ولهذا سميت آراؤه في العراق بمذهبه القديم، وفي مصر بالمذهب الجديد.

رابعاً: مذهب الحنابلة

نشأ الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١)، وطلب العلم في بغداد، ورحل في طلب العلم، واهتم بجمع الحديث ونقد الرواة، وكان من شيوخ الإمام أحمد الشافعي، فاستفاد منه في الرأي وفي معرفة بعض المباحث المتعلقة بعلم الحديث كالنسخ والمنسوخ، ثم جلس الإمام أحمد لنفع الناس ونشر العلم، فانتشر مذهبه في العراق، خاصة في عهد المتوكل، الذي رفع المحنة عن العلماء في مسألة القول بخلق القرآن.

هكذا ظهرت المذاهب الأربعة، وانتشرت في الأقطار، وهؤلاء الأئمة وإن اختلفوا في بعض الأحكام الشرعية، إلا أنهم متفقون في أصول الدين والحمد لله.

ارسم خريطة مفاهيم (شكلاً توضيحياً) توضح فيها تقسيم المدارس وما آلت إليه بعد ذلك من المذاهب المشهورة.

نشاط



بالرجوع إلى مصادر التعلم المختلفة، اذكر كتاباً في فقه كل مذهب من المذاهب الأربعة، مع ذكر مؤلفه.

..... /١ من كتب الحنفية: 

..... /٢ من كتب المالكية: 

..... /٣ من كتب الشافعية: 

..... /٤ من كتب الحنابلة: 



أسباب خلاف العلماء

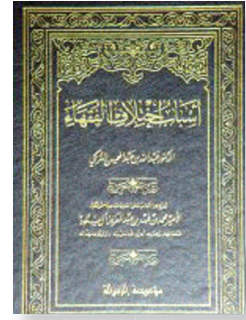
قال تعالى في قصة حكم داود وسليمان عليهما السلام في الحرث عندما قال تعالى:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿٧٩﴾﴾ (١)

فالحق كان مع سليمان، ومع ذلك قال الله عنهما: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

فالعلماء المجتهدون رحمهم الله لم يتكلموا بالهوى، بل كانوا يجتهدون في بيان أحكام الشريعة بحسب ما بلغهم من الأدلة، وبحسب ما فهموه منها، وقد يتفقون فيما بينهم، وقد يختلفون في بعض الأحيان.

والخلاف بين العلماء يعود إلى أسباب كثيرة كلها دائرة حول بحثهم عن الحق وتطلبهم بيان الشريعة، فكل واحد منهم إما أن يكون مصيباً محموداً فله أجران، أو مخطئاً معذوراً فله أجر واحد، كما قال النبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» (٢).



نشاط



كل واحد منا لابد أن يكون داعياً إلى الله تعالى، ومدافعاً عن شريعته، فإذا كنت يوماً في حوار مع شخص غير مسلم، وأنت تدعوه إلى الله جل وعلا؛ فقال لك: أنتم تزعمون أن الأحكام الشرعية من عند الله تعالى، وأن القرآن والسنة محفوظان لا يتطرق إليها التحريف، ومع هذا نجدكم تقولون أخطأ العالم الفلاني، وتقولون: هذا القول ضعيف؛ مع أنه موجود في كتبكم الفقهية.

(١) سورة الأنبياء الآيات: ٧٨ - ٧٩.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٣٥٢)، ومسلم برقم (١٧١٦).

بالتعاون مع مجموعتك فكر في إجابة سديدة عن شبهته؛ مدعماً قولك بما يكون سبباً لرجوعه عن مقولته،
واكتب ملخص ما توصلتم إليه.

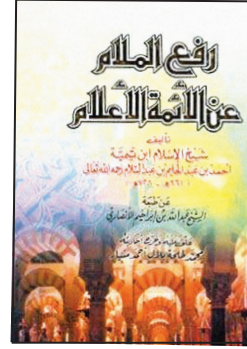
.....

.....

.....

أهم أسباب خلاف العلماء ما يأتي:

السبب الأول: كون العالم لم يسمع بهذا الدليل، مثال ذلك: بلغ عائشة رضي الله عنها أن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن فقالت يا عجبا لابن عمرو هذا يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات. (١)



السبب الثاني: يبلغ الحديث عالمين لكنه يكون صحيحاً عند عالم، ضعيفاً عند العالم الآخر حيث لم يبلغه بسند صحيح، مثال ذلك: حديث العينة الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (٢)، هذا الحديث لم يعمل به الشافعي لضعفه عنده، وعمل به الجمهور؛ لأن له طرقاً تقويه، وقد عضدته بعض الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم في تحريم العينة. (٣)

(١) رواه مسلم برقم (٣٣١).

(٢) رواه أبو داود برقم (٣٤٦٢).

(٣) العينة هي: أن يبيع سلعة بثمن مؤجل، ثم يشتريها من الذي أخذها بأقل من الثمن حالاً.

السبب الثالث: يبلغ الحديث العالم ويعلم أنه صحيح لكن يظنه منسوخاً والآخر بخلاف ذلك، مثال ذلك: اختلف العلماء في حكم الحجامة للصائم هل تفطر أم لا؟ فمن قال: إنها لا تفطر استدل بحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم، ومن قال: إنها تفطر استدل بحديث: أفطر الحاجم والمحجوم، ومن الأجوبة التي أجابوا بها عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قالوا: إن الحديث منسوخ، ولم يسلم لهم الآخرون بأن الحديث منسوخ.

السبب الرابع: يبلغ العالم الحديث ويعلم أنه غير منسوخ لكن يعتبره معارضاً بحديث آخر، مثال ذلك: خلاف العلماء في مسألة استقبال القبلة واستدبارها أثناء قضاء الحاجة، فمنهم من قال: إن الاستدبار والاستقبال منهي عنه مطلقاً، ومنهم من قال: منهي عن الاستقبال دون البنيان، وسبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا»^(١)، وروى ابن عمر رضي الله عنهما أنه رقى على بيت أخته حفصة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالساً لحاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة^(٢)، فهذان الحديثان ظاهرهما التعارض، ولهذا اختلف أهل العلم في حكم هذه المسألة.

نشاط



بالتعاون مع مجموعتك؛ فكر في أكثر من طريقة تجمع فيها بين الحديثين في المسألة السابقة.

الطريقة الأولى للجمع بين الحديثين:

أن يكون النهي عن الاستقبال والاستدبار في الفضاء خارج البنيان، وحديث ابن عمر يدل على الجواز داخل البيوت.

الطريقة الثانية للجمع بين الحديثين:

.....

.....

.....

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٤).

(٢) رواه البخاري برقم (١٤٨)، ومسلم برقم (٢٦٦).



السبب الخامس: اختلافهم في تفسير لفظ الدليل، وذلك لكون اللفظ مشتركاً أو مجملاً أو لأي سبب آخر، كاختلاف الفقهاء في مس المرأة هل ينقض الوضوء أو لا ينقض الوضوء، بسبب اختلافهم في تفسير قوله تعالى في آية الوضوء: ﴿أَوْلَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(١)، فمن فسرهما بمجرد اللمس قال: هو ينقض الوضوء، ومن فسرهما بالجماع قال: اللمس لا ينقض الوضوء.

السبب السادس: اختلافهم في قاعدة أو مسألة أصولية مما يؤدي إلى الخلاف في بعض الأحكام، وذلك كاختلاف أهل العلم في الاحتجاج بقول الصحابي أو فعله إذا كان في مسألة لا يدخلها الاجتهاد ولم يخالفه صحابي آخر هل هو حجة أم لا.

مثال ذلك: فعل ابن عمر في رفع يديه في التكبيرات على الجنائز^(٢)، ولكن بعض العلماء لم يختار هذا الحكم؛ لأنه لا يعمل بهذا النوع من الأدلة.

السبب السابع: أن بعض العلماء يفهم من الحديث شيئاً، ويفهم غيره منه شيئاً آخر، ومثاله حديث ذي اليمين أن النبي ﷺ صلى بهم إحدى صلاتي العشي فسلم من ركعتين، فلما أخبروه صلى الركعتين الباقيتين، ثم سلم ثم سجد سجديتين بعد السلام.^(٣) فأخذ منه بعض العلماء أن سجود السهو يكون بعد السلام إذا سلم من نقص في صلاته، فإنه يتمها ثم يسجد للسهو بعد السلام، وفهم منه آخرون أن سجود السهو يكون بعد السلام إذا زاد في صلاته سهواً وذلك لأنه في هذا الحديث زاد الصلاة على النبي ﷺ والسلام من الصلاة، فقالوا: كل زيادة سهواً فالسجود لها بعد السلام.

السبب الثامن: أن لا يكون في المسألة نص، فيجتهد العلماء في استنباط حكمها من بعض النصوص والقواعد الشرعية؛ فيختلف اجتهادهم، ومن ذلك اختلاف العلماء المعاصرين في حكم الإجارة المنتهية بالتمليك؛ بناءً على خلافهم في تنزيلها على النصوص والقواعد الشرعية.

(١) سورة المائدة الآية: ٦.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (١١٣٨٠) بسند صحيح.

(٣) رواه البخاري (٤٨٢)، ومسلم برقم (٥٧٣).



أسباب الخلل السابقة يمكن تصنيفها إلى نوعين أو ثلاثة، اجتهد في وضع تصنيف مناسب لها،
 وضع كل سبب منها ضمن الصنف الذي يناسبه في الجدول الآتي:

الصنف الأول:	الصنف الثاني:	الصنف الثالث:
.....
.....
.....
.....

الموقف من خلاف العلماء

الخلاف في بعض المسائل من طبيعة البشر لاختلافهم في الفهم والعلم، وقد سبق لك دراسة بعض أسباب الخلاف بين العلماء، ولكن ما موقفنا من هذا الخلاف؟

أولاً: يجب احترام العلماء وإجلالهم: المخطئ منهم والمصيب، ولا يبيح خطأ بعض الأئمة المجتهدين التعدي عليهم والطعن فيهم وانتقاصهم، فهذا ما أدى إليه اجتهاده، وهو معذور في ذلك مأجور، فعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(١)، وقد سبق لك دراسة أسباب الخلاف بين العلماء وهي أعذار، كما أن بعض الأحكام التي ترى هذا العالم قد أخطأ فيها قد تكون صواباً في حقيقة الأمر، والخطأ هو ما عندك.

ثانياً: الأئمة المجتهدون متفقون في أصول الشريعة، وإنما خلافهم في فروعها؛ كما وقع في بعض المسائل المتعلقة بالصلاة والحج والبيع ونحوها.

ثالثاً: وقوع الخطأ من بعض العلماء يدل على أن التعظيم يكون للنصوص الشرعية لا للأشخاص، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا محمداً ﷺ.

رابعاً: لا يجوز لنا التعصب لقول أحد من العلماء ونحن نعلم أن الحق مع العالم الآخر، فالعالم الذي أخطأ معذور مأجور، ولكن لا يعني ذلك أن نتابعه على خطئه أو نتعصب له، ونلوي النصوص من أجل تصحيح قوله.

(١) تقدم تخريجه ص ١٨.

نشاط



١/ بالتعاون مع مجموعتك بين الفوائد التي نستفيدها من معرفة أسباب الخلاف بين العلماء.

.....
.....
.....

٢/ بالتعاون مع مجموعتك أوجد أسباباً أخرى للخلاف بين العلماء مستصحباً أن خلافهم لم يكن ناتجاً عن هوى مذموم، أو لأمور شخصية؛ إنما هو خلاف بسبب النظر في الأدلة ولأجل الوصول إلى الحق.

.....
.....
.....

٣/ استخلص مما سبق أهم أسباب خلاف العلماء ممثلاً بمثال واحد على كل سبب.

.....
.....
.....

٤/ من الكتب التي عنيت بذكر اتفاق العلماء وخلافهم كتابا: الإفصاح لابن هبيرة، وبداية المجتهد

لابن رشد، ارجع إلى أحد الكتابين، وطبق النشاط الآتي:

اختر باباً من الأبواب، ثم اقرأه وحلل محتواه إلى الآتي:

الكتاب المختار: اسم مؤلفه كاملاً:

الباب المختار: عدد مسأله:

عدد مسائل الاتفاق التي ذكرها في الباب:

ثلاثة أمثلة عليها:

.....
.....
.....

عدد مسائل الخلاف التي ذكرها في الباب:.....

ثلاثة أمثلة عليها:.....

.....

.....

.....

٥ / بالرجوع إلى مصادر التعلم المختلفة^(١)، تعرف على مسألة اختلف فيها علماء العصر، واكتب عنها ملخصاً حسب ما يأتي:

الخلاف فيها، ومن قال بكل قول منها أو اختاره، ثم اذكر سبب الخلاف بينهم.

أ- المسألة هي:.....

ب- أقوال العلماء فيها:.....

القول الأول:.....

القائل به:.....

القول الثاني:.....

القائل به:.....

ج- سبب الخلاف:.....

القائل به:.....

٦ / تعرف على بعض الكتب التي تحدثت عن خلاف العلماء وأسبابه، واطلع فيه على أسباب أخرى لم ترد في الدرس وانقل منها سبباً أو أكثر:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(١) ومنها العلماء وطلبة العلم في منطقتك، وكتب الفتاوى المعاصرة، والمجلات العلمية والفقهية.



الفتوى والاستفتاء

يجب على من ليس بعالم أن يسأل أهل العلم فيما أشكل عليه من أمر دينه؛ لقوله تعالى:

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وإذا اختلف أهل العلم في مسألة معينة فعند ذلك إن استطاع أن ينظر في أدلة كل قول، وكانت عنده قدرة على الترجيح بين الأقوال فيجتهد في معرفة الراجح من الأقوال، أما إن لم يكن مستطيعاً فيقلد من يثق في علمه ودينه. كما يفعل المريض يبحث عن من يثق في طبه وأمانته. ولا يجوز له أن يتبع الهوى فينتقي من الأقوال ما يوافق هواه، لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢)

تعظيم شأن الفتيا

كان السلف رحمهم الله يتحاشون الفتيا، ويودون أن غيرهم يكفيهم إياها، وما ذلك إلا لعظم خشيتهم من الله سبحانه وتعالى وكمال علمهم بالكتاب والسنة، فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» (٤).

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت مئة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة، فيرد هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى يرجع إلى الأول.

وسئل الشعبي عن شيء فقال: لا أدري فقيل له: أما تستحي من قولك لا أدري وأنت فقيه العراق؟ قال: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ (٥).

معلومة إثرائية

ذكر ابن الجوزي عن بعض شيوخه أنه أفتى رجلاً من قرية بينه وبينها أربعة فراسخ، فلما ذهب الرجل تفكر الشيخ فعلم أنه أخطأ، فمشى إلى الرجل فأعلمه أنه أخطأ، فكان بعد ذلك إذا سئل عن مسألة توقف، وقال: ما في قوة أمشي أربعة فراسخ.

(١) سورة النحل الآية: ٤٣.

(٢) سورة ص الآية: ٢٦.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٢٣.

(٤) رواه البخاري برقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٢.

وقال أبو حنيفة: من تكلم في شيء من العلم وتقلده وهو يظن أن الله عز وجل لا يسأله عنه: كيف أفتيت في دين الله؟ فقد سهلت عليه نفسه ودينه. وقال: ولولا الفَرْق من الله أن يضيع العلم ما أفتيت أحداً، يكون لهم المهناً، وعليّ الوزر.

وكان الإمام مالك يكثر من قول: لا أدري، وسئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري، وسئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقليل: هي مسألة خفيفة سهلة، فغضب وقال: ليس في العلم شيء خفيف.

وسئل الشافعي عن مسألة فلم يجب، فقليل له، فقال: حتى أدري إن الفضل في السكوت أو في الجواب.

وعن الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل يكثر أن يقول: لا أدري، فيما عرف الأفاويل فيه.

نشاط



١/ بالتعاون مع مجموعتك، تأمل في النصوص والآثار السابقة واستنتج منها آداب الفتوى.

- أ/.....
- ب/.....
- ج/.....
- د/.....
- هـ/.....
- و/.....
- ز/.....
- ح/.....
- ط/.....
- ي/.....

٢ / دخل رجل على ربيعة بن عبدالرحمن وهو يبكي، فقال: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، وقال: أدخلت عليك مصيبة؟ فقال: لا، ولكن أستفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم.

اقرأ هذا الأثر، مع حديث عبدالله بن عمرو السابق، وشارك مجموعتك في التعرف على الآثار السيئة الناتجة عن استفتاء من لا يعلم.

.....

.....

.....

.....

.....

٣ / طلب منك مسلم جديد أن تفتيه في مسألة فقهية، ولم يكن لديك علم بحكمها، فكيف تصنع؟ صف الإجراءات التي سوف تتبعها حتى تفيده وتجتنب القول بغير علم.

.....

.....

.....

.....

٤ / ما موقفك في الحالات الآتية؟

أ- نقل لك شخص عن أحد العلماء فتوى تخالف الفتوى التي درستها وتعرفها.

.....

.....

.....

ب- سألت عالمًا، فأفتاك بفتوى مخالفة لفتوى العلماء الآخرين.

.....

.....

.....

هـ / عرفت شخصاً يستعجل في إفتاء الناس بغير علم، اكتب له رسالة تنصحه فيها، مستشهداً ببعض النصوص، مؤيداً ما تقول بما روي عن السلف في ذلك.

.....

.....

.....


.....


.....


تقويم



- ٤ عرف الفقه لغةً واصطلاحاً.
- ٥ يمكننا التمييز بين الفقه وغيره من العلوم الأخرى الشرعية وغيرها، كيف يتحقق لنا ذلك من خلال دراستنا للتعريف الاصطلاحي للفقه وشرحه؟
- ٦ يخلط بعض الناس بين الشريعة والفقه، من خلال دراستك بين ما يأتي:
 - أ- الفرق بينهما.
 - ب- ما يمكن أن يدخله الخطأ منهما وما لا يمكن.
 - ج- السبب فيما تقول.
- ٧ كيف تجيب من سألك عن مبررات نشوء المدارس الفقهية واختلافها؟
- ٨ إذا وقعت لك مسألة لا تعرف حكمها فمن تسأل؟ ولماذا؟
- ٩ هل يتصور وقوع الخطأ من الفقيه؟ ولماذا؟
- ١٠ إذا أفتاك عالم بخلاف ما درست فكيف تعمل؟ ولماذا؟
- ١١ تعددت وسائل الاتصال اليوم وتنوعت، وكثر المفتون، فمن الأولى بالاتباع؟ ولماذا؟

يأخذ بعض المستشرقين خلاف الفقهاء ذريعة للقدح في الشريعة؛ فكيف ترد عليه؟ 

هل ترى أن لاختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية مبرراً؟ وضح ما تقول بالأمثلة. 

كان الإمام مالك يكثر من قول: لا أدري، بم توحى لك هذه العبارة؟ 

إذا كان في بلدك عالم مشهور يثق الناس بعلمه وفتاويه؛ لما عرفوا منه من قوة العلم 

والتثبت، ثم جاء بعده عالم آخر في مكانة الأول وعلمه، فخالف العالم الأول في فتواه

في بعض المسائل العلمية المشهورة، فماذا يكون موقفك من العالم الأول والثاني؟

